Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أمعفر الليث الهزبر بسوطه لمن ادخرت الصارم المسلولا ؟

إن الاستفهام التعجبى فى الشطر الثانى لا يستقل برسم صورة ، ولكنه جزء أساسى من الصورة المعنوية ، من الدلالة المستخلصة فى الصورة التى رسمها الشطر الأول .

ونختم هذه اللمحة بالقول بأن « التجاوز » يترك طابعه التصويرى حتى وإن لم يرسم صورة تامة ، وربما كان هذا خاصا بالجملة الإنشائية التى لم تتحقق بعد ، ويعنينا صدر هذا القول ، وينبغى أن ندعمه الآن : إننى حين أسمع شخصاً ينادى : « يا زيد » فإن دلالة ذلك تظل تجريدية عقلية تماما ، ولكن إذا كان النداء لغير شخص مثل : « ياسارى البرق غاد القصر واسق به » وحتى لو اقتصر الأمض على المنادى فقط : « ياسارى البرق » فإن التجسد الحسى لرجل شاخص إلى الأفق وقد رقت ملامحه وجداً وحنيناً ، هى المقابل المباشر لمن يفهم معنى هذا النداء . وإذن فإن نوعية المنادى ودلالة النداء يمكن أن تكون صورة أو جزءاً من صورة ، أو إيحاء باستقبال صورة ، وهكذا .

وإنه لحدس صائب حقًّا أن يضع ابن المعتز التجنيس والمطابقة وردّ الأعجاز على ما تقدمها فى قسم واحد مع الاستعارة ، صحيح إنه كان يبحث فى طواياها عن المبتدع ولكنها جميعاً تشترك فى نزوعها الحسىّ وجنوحها إلى التصوير ، ولقد فطن عبد القاهر إلى شىء من ذلك حين اهتم بالجناس – دون غيره مما اعتبر من علم البديع فيما بعد – وبالطباق أحياناً . ونحن ننكر أن يكون هدف البديع معرفة وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة . وهذا الإنكار قائم فى جانب منه على رفض اعتبار وضوح الدلالة هدفاً فنيًّا للكتابة ، ونرى أن المطابقة – بمعنى الصدق الفنى – هى الهدف الوحيد ، وأنها تتضمن جانب الدلالة ، وما يسمى تحسيناً هو جزء لا يتجزأ من الدلالة ولا معنى لفصله واعتبار نشاطه بمثابة فضله يمكن الاستغناء عنها . ولكن عبد القاهر مع اعترافه بقيمة التجنيس ظل مشدوداً إلى الدلالة العقلية ، ولعله مهد بذلك إلى تقسيم المحسنات بين عقلية ولفظية ، وهو تقسيم عجيب حقًّا إذ لا يتصور أن يكون الموقع العقلى وحده مبرراً ، كما لا يتصور أن يكون البناء الصوتى وحده دافعاً للاستحسان حتى وإن عاند التصور وهدم الصورة .

ويقول عبد القاهر :

أما التجنيس فإنك لا تستحسن تجانس اللفظتين إلاّ إذا كان موقع معنيَيهما من العقل موقعاً